

دموعٌ في سمرقند

رسالةٌ إلى القائدِ الفاتحِ قتيبة بن مسلمِ الباهليِّ

هنا ثارتُ رجالُكَ والخيولُ
فماتَ على خطاياها المستحيلُ
هنا صارتُ سماءُ الله أرضاً
فسالتُ في روايتها السَّيولُ
هنا رقصتُ على الأفلاكِ خيلُ
فوافتها بتكبيرِ نُصـوُلُ
هنا غنّى فراتُ الشَّامِ لحناً
ففاض لصوتِ موسيقاهُ نيلُ
هنا دُكَّتْ جبالُ الأرضِ دكّاً
فماجتُ في أعاليها السَّهولُ
هنا كلمتُنا صارتُ قلاعاً
فحارتُ في معانيها العقولُ
هنا هجرتُ (بُثينةُ) كلَّ صبِّ
فماتَ على صبابتهِ (جميلُ)
هنا أدركتُ أنّك ألفُ سيفٍ
على جبهاتِ باطلهم تصوُلُ
وقفتُ هنا وطالَ هنا وقوفي
ودمعُ الأرضِ من حولي يسيلُ

هنا وقفـتُ تناديكَ للـرّوابي
و تبكيكَ المـدائـنُ و الطلـوولُ
هنا بكتِ الرّياحُ دماً و ناحتُ
رمالُ عندما أـزفَ الرّحيلُ
ألا يا سيّد الأبطال مهالاً
فحول مشاعري قيـدٌ ثقيلُ
لك الكلماتُ تسجدُ حائراتٍ
و تركعُ دون نعليك الفصولُ
كتبتُ إليك مشـتاقاً و إنّي
خجولٌ منك عن شعري خجولُ
كتبتُ إليك فاعذرنـي لضعفي
فمثلي في مثـلك لا يقـوولُ
إذا ما صرتُ أكتبُ فيك شعراً
فشعري جاهلٌ و أنا جهولُ
كتبتُ إليك و الأمالُ ثكـلي
و عودُ عزيمتي غضُّ نـحيلُ
كتبتُ إليك يحـملُ كلَّ حرفٍ
دموعٌ يختبي فيـها الفـضولُ
(قتيبةُ) يا (قتيبةُ) إنَّ قلبي
عليـلٌ من فراقكمُ عليـلُ
(سمرقندُ) التي غيّتَ فيها

على ألتانها داست فلول
و في (الشيشان) أشلاء و قتلى
و في (كشمير) إرهاب و بيل
كتبت إليك و الأقصى دماء
على صدر الحياة غدت تسيل
و أطفال العراق هناك مُر
نهارهم و ليهم طويل
و (بغداد الرشيد) غدت ياباً
و صار يموت في فمها النخيل
دم الخنزير يمهر كل شر
له في كل موقعة ذبول
و كف الكفر تلمم كل أرض
له في كل زاوية قتل
و (أبرهة) الذي ولي صريعاً
له في أرضنا الخرساء فيل
تهاوى المسلمون فلا إحاء
و شمس العرب أخرسها الأفول
تراب القدس يحترق احتراقاً
و مزمار هنا و هنا طبول
نساء القدس تسببها يهود
و كأس الغانيات هنا تجول

رضينا في شريعتنا الدنيا
فهنا و استهان بنا اللدخيل
رضينا غير دين الله ديناً
فمزقنا و ساء بنا السبيل
وهبت من خبا التلموذ ريح
فصرنا أينما مالت نميل
كأن (محمداً) ما كان فينا
ولم يحمّل لوانا جبرئيل
لماذا الذلّ والإسلام فينا
وفينا نحن قد قام الرسول؟
وكيف نذلّ و الفاروق منّا؟
ومنّا ابن الوليد و " شرحبيل "؟
وكيف نهون و اليرموك منّا؟
وفوق ترابنا صلي المغول
ومن صحرائنا سطعت شمس
ومن قلب الرمال مشت خيول
و ما من جبة في الأرض إلا
لنا فيها حضور أو حلول
(قتيبة) أدرك العطشى بسقيا
فهاؤك سلسبيل سلسبيل
تحن إليك قدس الأرض شوقاً

و تندبُ طولَ غيبتك (الخليلُ)
تحنُّ إليك أنفاسُ الصَّحارى
ويرقبُ فجرَ عودتك الأصيلُ
(قتيبةُ) عُذْ لتخضَّرَ الرّوايى
وينبتُ من ترابِ الأرضِ جيلُ
وأرسلُ من خيولك عادياتٍ
لينسفَ صمتَ عالمنا الصَّهيلُ
فأنت (اللهُ أكبرُ) حين تُلقى
على الصَّحراءِ تملؤها الحقولُ
وسيفُ " محمّدٍ " في الأرضِ يمضي
لهُ في كلِّ بارقةٍ صليلُ

كتبْتُ إليك من قلبٍ جريحٍ
جفا الدّنيا و حارب به الدليلُ
فإنّ قصرتُ في نظمِ القـوافي
فعدراً أيها البطلُ النّيبُ
حروفي فيك أنغامٌ و عطرٌ
و أزهارٌ و حبري زنجيـلُ
و ربّ العرشِ لن نرضى زوالاً
تـزولُ الرّاسياتُ و لا نـزولُ

دمشق 1421هـ / 2000م

من ديوان : حروفُ أمّ النّار

للشّاعر : أنس إبراهيم الدّغيم

سوريا/ معرّة النعمان / جرجناز

Eqbal1979@hotmail.com